ازد عمان ودورهم في التاريخ حتى نهاية العصر الاموي

الاستاذ الدكتور نافع توفيق العبود

قسم التاريخ ــ كلية الاداب

جامعة بغداد

المقدمة :

يتناول هذا البحث – كما يدل عنوانه– دراسة تاريخية مركزة عن قبيلة ازد عمان،التي تفرعت عن قبيلة الازد اليمنية الكبيرة ، واقامت في عمان قبل الاسلام بأكثر من قرنين ... وعند ظهور الاسلام ، دخلت فيه على عهد الرسول الكريم (ﷺ) ، وبرزت اسهاماتها الفاطة في ينسيج احداثه المهمة وبخاصة في عمان والعراق وخراسان ومناطق اخرى ... وبهذا صار لازد عما ن شأن ــ وأي شأن في مسيرة التاريخ العربي الاسلامي – وقد حاولنا الوقوف على تلك الاسهامات في المسطور من الصفحات الاتية .

لم يتطرق البحث في موضوعه الى دراسة تفصيلية ، بل ركز على جوانب اساسية وعامة ، ولذلك اسباب ، منها المدى الواسع للبحث زمانيا ومكانيا ، ومنها ايضا تعدد جوانب موضوعه بأحداثه التاريخية والاسهاب فيها مما يبعدنا عن الخوض في تفاصيل يجدر بالدارسيين المحدثين الالتفات اليها ودراستها .

وازاء الروايات الكثيرة والمختلفة المتعلقة بموضوع البحث ، فقد قمنا بتنظيم ما اعتمدنا عليه منها ، ضمن المكان والتسلسل التاريخي وتدقيق ماجاءت به لضبط ابعاد اللوحة – ان صح التعبير– التي تشمل صورة معقدة لاحداث كبرى اسهم فيها رجال ازد عمان ، مع اعطاء دورهم في كل حدث لونه الواضح ونسبته.

اهمية موقع عمان

عرفت عمان بموقعها الجغرافي المتميز ، فأمتدادها المواجه لكل من الخليج العربي والبحر العربي، وعمق مياهها واحاطة معظم شواطئها بجبال تحميها من تأثيرات الرياح الشديدة ، ساعد على نشوء الموانىء فيها وهيأها لأن تكون المركز الرئيس للساحل الغربي من الخليج العربي ، وادى بالتالي الى نمو وتطور التجارة والملاحة ، اذ كانت تستقبل السفن الاتية من البصرة متجهة الى الهند والصين وشرق افريقيا وبالعكس .

وقد اشاد المؤلفون القدامى بمكانة عمان التجارية ، فوصفها الاصطخري .(ت ٣٤١هـ) بقوله انها ((دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن))[١] وعن علاقاتها التجارية مع الصين نوه المسعودي (ت٣٤٦هـ) ببلاد كلة الواقعة في منتصف الطريق الى الصين او نحوه فقال : ((واليها تنتهي مراكب اهل الاسلام من السرافيين والعمانيين في هذا الوقت (زمانه) فيجتمعون مع من يرد من ارض الصين في مراكبهم ، وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك ، وذلك ان مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة ، وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع التي ذكرنا الى ماهنالك))[٢] وقال الحميري (ت ٩٠٠هـ) عن صحار قصبة عمان : ((كان بصحارمجمع التجار ، ومنها يتجهز لكل بلدة الى بلاد الهند والصين))[٣] .

هكذا يبدو لنا رواج التجارة في عمان ، فقد امتطى اهلها ظهر البحر واوغلوا فيه الى ماوراء الهند ، وكان ازد عمان هم البحارة الماهرون الذين استعانت بهم فارس قبل الاسلام في جلب المتاجر الى بلادها منافسة في ذلك الرومان [٤].

اسلام ازد عمان في عهد الرسول (ﷺ):

ان اشتهار عمان بموقعها المتميز واثره في التجارة والملاحة فضلا عن اعتماد اقتصادها على الزراعة القائمة على الرى سيحا من السيول[٥] . قد جلب اليها الاطماع الفارسية ، اذ قدر الفرس اهمية عمان وميسور العيش فيها ، قبل الاسلام، فولى كسرى ملك الفرس ، المنذر بن النعمان اللخمي على عمان والبحرين واليمامة ومناطق اخرى [٦]. وكانت هذه التولية في زمن كانت فرقة الكلمة قد انتابت امة العرب وتسبب ذلك في جلب اطماع الاجانب من الفرس والروم والاحباش ...

وظلت حال امة العرب هكذا ، حتى بعث الله تعالى رسوله الامين (ﷺ) برسالة الاسلام ، فصار الواقع يتغير من حال الى حال ، فعلت منزلة العرب كونهم مادة الاسلام ، وان عليهم انقاذ الانسانية في ضوء هدى الدين الحنيف .

ساد الاسلام شبه الجزيرة العربية في عهد الرسول الكريم (ﷺ) فنال اهل عمان نصيب من الايمان ، فوجدوا في ذلك خلاصا من الهيمنة الفارسية الدخيلة .

كانت عامة اهل عمان ــ انذاك ــ من قبيلة الازد ، وهي من القبائل اليمانية (القحطانية) الكبيرة ، وعرفت بهذا الاسم نسبة الى الازد (او الأسد) بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وكانت الازد قد تفرعت الى سبع وعشرين قبيلة ، واجمعت المصادر ان خروجهم كان من اليمن بعد خراب سد مأرب،واستقرت جماعة منهم في عمان، وعرفوا بازد عمان [٧].

ولكننا لانعلم على وجه الدقة تاريخ هجرة الازد الى عمان لكن هناك اشارة الى ان اردشير بابكان جعلهم ملاحين بشحرها قبل الاسلام بستمائة عام ، والصواب ان ذلك كان قبل نحو اربعمائة عام[٨] ، ثم تتابعت الهجرة من اليمن منذ

القرن السادس الميلادي بسبب خراب سد مأرب واثرت جماعة اخرى من الازد الاقامة بالسراة ، وهم الذين عرفوا بأزد السراة او ازد شنوءة[٩] .

وايضاحا لتحول ازد عمان الى الاسلام ودخولهم فيه ، ننقل رواية المؤرخين في احداث سنة ٨ هـ التي جاء فيها :((فيها ارسل رسول الله (ﷺ) ، عمرو بن العاص الى جيفر وعياذ ابني الجلندي بعمان فامنا وصدقا واخذا الجزية من المجوس ...)) [١٠] ويبدو ان اسلام ابني الجلندي (ملكي عمان)[١١] الازديين ، قد اثر تاثيرا عميقا في نفوس اهل عمان الذين كانت غالبيتهم من الازد ، فاقبلوا على اعتناق الاسلام من غير اكراه ، فليس بين ايدينا مايدل على عكس ذلك ، فلم يظهروا اية معارضة او مقاومة لعمرو بن العاص ، موفد الرسول الكريم ، بل ان عمرا مكث في عمان حتى وفاة الرسول (ﷺ) في سنة ١١هـ .

ازد عمان والردة :

توفي رسول الله (ﷺ) في الثاني عشر من شهر ربيع الاول في السنة الحادية عشرة [١٢]، وماجت شبه الجزيرة العربية عن انبياء كذبة ، وامتناع اخرين عن اداء الزكاة ، فجيشوا جيوسا ينادى بعضها بعضا للانقضاض على دولة الاسلام الفتية في المدينة المنورة ، ولسنا هنا بصدد تلك الحركات التي عرفت بحركات الردة ، بل ان الذى يهمنا منها هو ردة اهل عمان ، التي ظهر فيها ذو التاج لقيط بن مالك الازدي ، وكانت له مكانة كبيرة في عمان ، حيث وصف بانه ((كان يسامي في الجاهلية الجلندي)) [١٣] فأدعى نبوة كاذبة على شاكلة من تنبأ ، وغلب على عمان مرتدا وامتنع اتباعه عن اداء الزكاة ، وقوى امره .

اما جيفر وعياذ ابني الجلندي ، فقد ثبتا على الاسلام ، ويبدو انهما لم يقويا بمن معهما من قمع المرتدين مع لقيط الازدي ، فلاذا بالجبال ولايسعنا في هذا

الصدد الا اكبارهما- ايما اكبار - فلم يقفا مكتوفي الايدي ازاء فعلة لقيط المرتد ، بل ان جيفرا بعث الى الخليفة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) يخبره بما آلت اليه الحال في عمان ، ويناشده ان يمده بالامداد[١٤] لضرب المرتدين والقضاء على حركتهم الضالة .

لم يستكن الخليفة الصديق (رضي الله عنه) لحركات الردة ، بل ارسل بأسه العادل الى المرتدين في سائر الجهات ، ومن ذلك انه بادر الى تسيير حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير ، وعرفجة البارقي من الازد ، حذيفة ((الى عمان وعرفجة الى مهرة))[١٥] كما امر عكرمة بن ابي جهل . وكان بعثه الى اليمامه ان يلحق بهما مددا ليساعدهما على المرتدين في عمان ومهرة .

نفذ عكرمة امر الخليفة فقصد عمان ، حيث التقى بحذيفة وعرفجة في رجام[١٦] وهناك شرعوا يعدون عدتهم لمجابهة لقيط بن مالك والمرتدين معه ، فكاتبوا جيفرا وعياذا ابني الجلندي يخبرونهما بالموقف الذي فيه وعزمهم على استئصال شافة المرتدين.

لما وقفا جيفر وعياذ على خبر الجيش الاسلامي ، خرجا وعسكرا بصحار وارسلا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة ، فقدموا عليهما ، اما في الجانب الاخر ، (اى جانب المرتدين) فقد عبأ لقيط بن الازدي قواته المرتدة ، واستعد للقاء المسلمين .

وهنا وضع قادة الجيش الاسلامي خطتهم للمنازلة ، فسعوا الى بث الفرقة بين رجال لقيط ليوهنو امره ، فكاتبوا رؤساء رجاله وأرفضوا عنه ، [١٧] مما يدل على انه لم تكن لدى صاحبهم المرتد اي مبدأ يخلص له او اية غاية سامية يشد اصحابه اليها.

عبأ المسلمون قواتهم وعزموا على استئصال الردة من جذورها , وكان لقيط هو الاخر قد اعد جيشا من اتباعه فحشدهم في دبا ــ قصبة عمان ــ وتأهب للقتال وجعل العيالات وراء صفوف رجاله ، فكأنه قصد من ذلك حثهم على الصبر فى الميدان، وهناك فى دبا ، دارت رحى منازلة حامية الوطيس بين الجانبين ، " واستعلى لقيط ، ورأى المسلمون الخلل ، ورأى المشركون الظفر " [١٨] فبينما هم كذلك ، جاءت المسلمين امدادات كبيرة ، امدهم بها بنو ناجية وكان عليهم الخريت بن راشد ، ومن عبدالقيس وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم[١٩].

كانت نتيجة اللقاء الحاسم في الميدان ، ان حلت الهزيمة المنكرة بالمرتدين ، فقتل كثير منهم ، ولاذت البقية الباقية ممن كتبت لهم النجاة بالتحصن بدبا ، فتعقبهم المسلمون وحاصروهم شهرا او نحوه[٢٠] ، ولم يكونوا قد استعدوا للحصار فيحسبوا له حسابا .

ونتيجة هذا الحصار الشديد خارت قواهم ، وقدروا المصير المحتوم الذى ينتظرهم امام ارادة المسلمين واستبسالهم في الدفاع عن عقيدة الاسلام . لذلك فكر المرتدون المحاصرون في طريقة تنجيهم من الهلاك ، فارسلوا الى حذيفة بن محصن يسألونه الصلح . ولكن هذا القائد العربي المسلم ابى اجابتهم الى ما سألوه ، الا ان ينزلوا على شروط اشترطها عليهم جزاء بما اقترفوه بحق الاسلام والمسلمين في عمان ، وحينئذ اذعنوا لحكمة ، فقال لهم : ((اخرجوا من مدينتكم عزلا لاسلاح معكم ...))[٢١] فخرجوا وجردوا من سلاحهم الذى شهروه بوجه الايمان ، ولم يكتف حذيفة بذلك بل اقدم على ضرب رؤوس اهل الشرك والمرتدين وكان عددهم مائة رجل[٢٢] ، واكثر من هذا سيرت الاسرى الى المدينة المنورة ، ليرى الخليفة الصديق (رضي الله عنه) رأيه فيهم ، وكان من بينهم بعض وجهاء الازد [٢٣].

والجدير بالذكر ان المسلمين في المدينة اختلفوا في امر الاسرى ، وهم الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) بقتل من بقي منهم ، ولكن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يوافقه على رأيه ، بل هون عليه امرهم ، وخاطب الخليفة قائلا له : ((ياخليفة رسول الله ، هم مسلمون إنما شحّوا باموالهم ، والقوم يقولون مارجعنا عن الاسلام))[٢٤] ، وحينئذ اخذ الخليفة بقول عمر الذي نقله اليه بشأنهم ، كونهم لم يؤدوا خمس الزكاة ، وانهم لم يرتدوا عن الاسلام ، وابقاهم موقوفين في المدينة حتى وفاته في سنة ١٣هـ [٢٥]، ولما تسنم عمر الخلافة اطلقهم ، فرجع بعضهم الى بلدهم عمان [٢٦].

هكذا انتهت حركة الردة في عمان ، تلك الحركة الخطيرة التي قادها لقيط بن مالك الازدي في قوم من قبيلته كانت كلمته نافذة عليهم ، ولم تزودنا المعلومات المتوفرة بين ايدينا بشيء عن مصير لقيط - واغلب الظن انه لقي حتفه جزاء بما اقترفه بارتداده في وقت كان الاسلام فيه غضا طريا في عمان . وقد صور مصيره عباد الناجي بالابيات الشعرية الاتية :

لعمري لقد لاقى لقيط بن مالك من الشر ما اخزى وجوه الثعالب

وبادى ابا ابكر ومن هل وارتمى خليجان من تياره المتراكب

ولم تنهه الالى ولم ينكأ العدا فالوت عليه خيله بالجنائب[٢٧]

بعد القضاء على ردة عمان حسن اسلام اهلها فسكنوا ، بل انهم سرعان ما اسهموا في ضرب ردة اخرى كانت قد قامت في مهرة بين عمان وحضر موت - فلما فرغ المسلمون من ردة عمان ، خرج عكرمة بن ابي جهل في جنده نحو مهرة ، واستنفر من حول عمان واهل عمان وبخاصة من الازد وناجية وانضم اليهم اخرون من عبد القيس وراسب وسعد من بني تميم ، فاقتحم على مهرة بلادها وقمع المرتدين وقتل رئيسهم المصبح احد بني محارب [٢٨].

اسهامات ازد عمان في بعض احداث العصر الراشدي:

ان من يتتبع اسهامات ازد عمان ورجالاتها في مسيرة احداث التاريخ العربي الاسلامي التالية ، يجد انها بعد عودتها الى الاسلام قد اسهمت اسهاما فاعلا في فتح كور فارس وكرمان[٢٩] ، ويبدو ان اسهام ازد عمان كان قد تحقق ضمن جبهة فتوح اهل البصرة باتجاه المشرق . وهذا مايمكن استنتاجه من وجود بعض الازد في البصرة منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) [٣٠] (١٣ - ٢٣هـ) غير اننا لانعلم سنة قدومهم اليها من عمان ، ولانعلم ايضا عددهم على وجه الدقة . لكننا نستنتج مما قاله البلاذري عن بناء دسكرين من لبن لهم حين مصر عتبة بن غزوان البصرة ، في الحي الذي سمي بموضع دار الازد[٣١] ، ان عددهم كان كبيرا ، وذكر الطبري في رواية عن ابي عبيدة ان الازد كانوا اخر من نزل البصرة في اواخر خلافة معاوية بن ابي سفيان (٤١-٦٠هـ)[٣٢].

غير اننا نجد أن أزد عمان نزلوا البصرة قبل هذا التاريخ ، بدليل تردد ذكرهم في العصر الاسلامي الاول ، حيث قام رؤساؤهم بمساندة السيدة عائشة (رضي الله عنها) في معركة الجمل سنة ٣٦هـ[٣٣] ، ثم تحولوا خلال سنة واحدة الى مساندة الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) في معركة صفين ضد اهل الشام سنة ٣٧هـ[٣٤] . ويظهر ذلك واضحا في الروايات التاريخية ، فقد انفرد ابن حجر العسقلاني[٣٥] برواية تقول ان الخليفة علي (رضي الله عنه) عقد او لواء للمهلب بن ابي صفرة (واصله من ازد عمان) حين انهزم الازد يوم الجمل (٣٦هـ) وتوحي لنا هذه الرواية ان ازد البصرة كانوا مع الخليفة علي في هذه المعركة في حين انهم قاتلوا ضده ، ومع ذلك ، فاذا صحت هذه الرواية فان هذا يعني ان بعض الازد ومن بينهم المهلب قد ساندوا عليا ، ولايبدو هذا مستبعدا ، اذ ان نفرا من قبيلة بكر انحازوا الى طلحة والزبير في معركة الجمل في حين ان بكرا عموما كانت تساند عليا .

اما في معركة صفين (٣٧هـ) فان الازديين ساندوا عليا (رضي الله عنه) وفي هذا ننقل رواية الطبري عن ابي مخنف التي تقول : ((حدثني الحارث بن حصيرة الازدي ، عن اشياخ من النمر من الازد ، ان مخنف بن سليم ، لما ندبت الازد للازد (ازد الشام) حمد الله ثم قال : ان من الخطأ الجليل والبلاء العظيم ، انا صرفنا الى قومنا وصرفوا الينا ، والله ماهي الا ايدينا نقطعها بايدينا ، وماهي الا اجنحتنا نجدها باسيافنا ، ....))[٣٦] ، ويبدو موقف الازد المتحمسين لمناصرة الخليفةعلي (رضي الله عنه)من سقوط بعضهم صرعى في ميدان المعركة المذكورة [٣٧].

بعد ان عرضنا الى مواقف الازد في معركتي الجمل وصفين ، يمكن القول بان عدد الازد قد زاد في البصرة ، فألقاء نظرة الى نظام الاخماس الذي اتبع فيها اول الامر وظل معمولا به طوال العصر الاموي دون ان يطرأ عليه اي تغيير او تعديل يرينا ان الازد كونوا احد هذه الاخماس[٣٨] ، ويبدو ان عددهم ازداد اكثر في البصرة اثر موجة طارئة منهم نزلت هذه المدينة في اواخر عهد معاوية وممستهل خلافة ابنه يزيد(٦٠ -٦٤هـ) وكانوا من ازد عمان ، وادى نزولهم البصرة حينئذ الى اختلال ميزان القوى القبلية فيها ، فسارعت ربيعة الى محالفة الازد استظهارا بهم على المضربة التي كانت لها الغلبة العددية في ذلك العصر .

ونتيجة لا زدياد عدد قبيلة الازد وتحالفها مع ربيعة في البصرة ، فانها قامت بدور بارز ومتميز في الاحداث السياسية والعسكريةخلال العصر الاموي ، ولعل اهم عبء تحملته هنا ، هو محاربة الخوارج والاسهام في حركة التحرير والفتوح الاسلامية التي شهدها ذلك العصر .

وفي هذا الصدد لابد ان يكون عدد من الازد قد نقلوا الى خراسان ضمن عملية نقل جالية عربية قوامها خمسين الفا امر زياد بنقلها من المصرين البصرة والكوفة في سنة ٥١هـ [٤٠]، فقد ذكر الطبري ان زيادا ((بعث الربيع بن زياد الحارثي الى خراسان في خمسين الفا من البصرة خمسة وعشرين الفا ، ومن

الكوفة خمسة وعشرين الفا ...)) [٤١] وبهذا صار وجود للازد في خارسان وكانوا اصلا من ازد عمان .

اسهامات الازد في بعض احداث العصر الاموي :

تقدم الكلام – قبل قليل– ان عدد الازد زاد في البصرة في اواخر عهد معاوية ومستهل خلافة ابنه يزيد ، ولعل ذلك بسبب موجة طارئة وفدت من عمان ، ونتيجة تلك الزيادة صارت الازد تسهم اسهاما فاعلا في مجرى الاحداث المهمة وبخاصة محاربة الخوارج الازارقة والمشاركة في فتوح المشرق ، وسنرى فيما بعد موقف هولاء الازد من الامويين ابان اشتداد الخلاف بين اسرة المهالبة (واصلهم من ازد عمان) وبين الامويين ، ذلك الخلاف الذي بلغ ذروته في ثورة يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١–١٠٥هـ) ، ومن بعد سنرى انضمام بعض رؤساء الازد الى الثورة العباسية طلبا بالثأر لابناء اسرة المهالبة الذين احل بهم الامويون نكبة شديدة .

وسنعرض في مايأتي الى مواقف الازد في الاحداث التي شهدها العصر الاموى ، محاولين – قدر الامكان – تجنب الخوض في تفاصيل تبعدنا عن جوهر هذا البحث .

محاربة الازد للخوارج :

من المعلوم ان حركة الخوارج بدأت بين الكوفيين الذين خرجوا على الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) احتجاجا على قبوله التحكيم في صفين[٤٢] وظلت حركتهم تتسع ، فانقسموا الى عدة طوائف [٤٣]، وكانت طائفة الازارقة الخارجية اشدها تطرفا وقد انبثت افرادها في مناطق البصرة والاحواز وما وراءها من بلاد فارس وكرمان ، وروعوا الامنين ، وانزلوا هزائم بالجيوش التي

حاربتهم قبل ان يتولى المهلب بن ابي صفرة (وهو من ازد عمان) قتالهم . وتجدر الاشارة هنا الى ان مبدأ الخوارج لم ينتشر بين الازد .

وفيما يتعلق بمحاربة الازد للازارقة ، فيمكن ان نلمس ذلك جليا في تولية المهلب قتالهم بناء على اختيار اهل البصرة له ، وذلك في سنة ٦٥هـ[٤٤] ، فقد انتخب المهلب من اخماس البصرة عشرين الفا ، من الازد ثمانية الاف رجل وبقيتهم من سائر العرب ، وظل المهلب مقيما على حرب الازارقة حتى سنة ٧٢هـ ، وكان قتاله لهم لحساب الزبيريين [٤٥].

ولما دان العراق لعبد الملك بن مروان بعد مقتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ[٤٦] ، وضع المهلب نفسه ورجال قبيلته في خدمة الامويين بعد مبايعته للخليفة عبدالملك ، فواصل مقاتلة الازارقة حتى عزله عامل البصرة خالد بن اسيد بن عبدالله ، وجعله على خراج الاحواز ، لكن خالدا لم يثبت كفاءة في قتال الازارقة الذين انزلوا بقواته هزائم منكرة [٤٧].

وفي سنة ٧٤هـ اعاد الخليفةعبد الملك المهلب الى قتال الازارقة رغم كون ولاة الامور كانوا من المضربة ، وكان يهمهم تقديم احد ابناء عصبيتهم عليه ، ولم يرق لهم تقديم قائد ازدي غريب عنهم .

وعلى اية حال ، فقد استأنف المهلب قتال الازارقة من جديد وباندفاع شديد ، وكان الميدان هي الاحواز ، واحل هزائم شديدة بهم بعد سلسلة من المعارك ، وساعده في ذلك دعم الحجاج بن يوسف الثقفي الذي عين واليا على العراق في سنة ٧٥هـ بعد وفاة بشر بن مروان اخي الخليفة عبد الملك وظل المهلب مقيما على حربهم حتى سنة ٧٨هـ حيث فرغ من قتالهم بعد زهاء اثني عشر عاما قضى خلالها على اكثرهم[٤٨] .

الازد في المشرق الاسلامي :

تعود البدايات الاولى لاسهامات ازد عمان في احداث المشرق الاسلامي الى دورهم في فتح بعض كور فارس وكرمان[٤٩] في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولابد انهم شاركوا في الحملات التي اضطلع فيها الجيش العربي الاسلامي باتجاه الاقاليم المشرقية وبخاصة تلك الحملات التي كانت تنطلق من البصرة بذلك الاتجاه .

ويبدو ان الازد اقاموا في الاقاليم المشرقية المفتوحة ، وبخاصة في اقليم خراسان شأنهم في ذلك شأن اخوانهم رجال القبائل الاخرى ، ومن بعد اقاموا بشكل منظم في خراسان التي قسمت حسب نظام الارباع اثناء ولاية زياد على العراق ، فقد ولى زياد ، الربيع بن زياد الحارثي سنة ٥١ هـ خراسان وحول معه من الكوفة والبصرة خمسين الفا بعيالاتهم [٥٠].

على ان مكانة الازد في خراسان زادت علوا اثناء ولاية المهلب بن ابي صفرة الازدي عليها ، اذ لم يبعد الحجاج بن يوسف الثقفي المهلب وقبيلته عنه ، بل وقع اختياره عليه بعد فراغه من حرب الخوارج وعينه واليا على خراسان في سنة ٧٩هـ ، نظرا لما عرفه فيه من قابليات ادارية وعسكرية تتناسب وحاجة ذلك الاقليم في تلك الظروف .

ويبدو ان الحجاج بن يوسف الثقفي كان يهدف من تعيين المهلب على خراسان الى موازنة قوة قبيلة تميم بقوة قبيلة اخرى هي الازد ، بل وليشغل القبائل هناك بالفتوح في بلاد ماوراء النهر وبذلك يقضي على الخصومات القبلية[٥٢] .

وفي اثناء ولاية المهلب لخراسان (٧٩- ٨٢هـ) شجع هذا استقرار الازد فيها ، لكي يوجد نوعا من التوازون القبلي ، إذ لم يسمح للعصبية القبلية ان تطل

برأسها في خراسان طيلة مدة ولايته وانه شغل القبائل بالفتوح ، يضاف الى ذلك فأنه مال الى محالفة ربيعة لما كان يجمع بينها وبين الازد من التحالف في البصرة ، ونجد في ابيات نهار بن توسعه التي رثى بها المهلب اشارة الى هذا الحلف ومنها قوله :

تطيف به قحطان قد عصبت به واحلافها من حي بكر وتغلب

وحيا معد عوذ بلوائه يفدونه بالنفس والأم والأب

كان المهلب قد استخلف قبل وفاته (سنة ٨٢هـ) ابنه يزيدا على ولاية خراسان فاقر الحجاج بن يوسف الثقفي هذه التولية التي اقترنت بموافقة الخليفة عبد الملك بن مروان . واستمر يزيد في ولايته الاولى هذه مدة اربع سنوات (٨٢-٨٦هـ) سار خلالها على نهج ابيه في الاعتماد على قبيلته الازد وحليفتها ربيعة ، كما انصرف الى مواصلة الفتوحات ، وفي سنة ٨٥هـ امره الحجاج بقصد خوارزم وفتحها ، الا انه اعتذر له[٥٤]، فهيأ بذلك مجالا للحجاج لمعاداته ومن ثم تطور امر الخلاف بينهما حتى اقصاه الحجاج عن ولاية خراسان وزجه في الحبس بواسط ، واستبدله بقتيبة بن مسلم الباهلي وكان ذلك اثر وفاة عبدالملك بن مروان في سنة ٨٦هـ .

موقف قتيبة من الازد (٨٦-٩٦هـ):

تولى قتيبة بن مسلم خراسان مدة عشر سنوات (٨٦-٩٦هـ) ولم تكن سياسته ازاء القبائل العربية هناك سياسة سديدة ، حيث استظهر بقومه القيسيين في خراسان وسانده الحجاج في ذلك ، فكان من نتيجة سياسته هذه ان نفر القبائل الاخرى عنه ، بل انه اهانها في الايام الاخيرة من ولايته ، وجاء ذلك في بعض خطبه ، ففي احداها ركز نيله من تميم والازد حين خاطبهم :

((يامعشر تميم ويأهل الذلة والقلة ، ويامعشر الازد : أخليتم السفن وركبتم الخيل وقذفتم المرادى واخذتم الرماح ...))[٥٦] وقال عن الازد في مناسبة اخرى : ((واما الازد، فاعلاج شرار من خلق الله ، لو ملكت امرهم لوسمتهم))[٥٧] ونال من الازد ايضا في خطبة اخرى جاء فيها :((ويا معشر الازد : اخليتم السفن وقذفتم المرادى واخذتم الرماح))[٥٨] وفي هذا اشارة واضحة لذمه الازد في خراسان ، كونهم في الاصل من ازد عمان الذين اشتهروا في تاريخهم بالملاحة وركوب البحر .

هكذا ابدى قتيبة بن مسلم - وهو من باهلة الصغيرة - عاطفة عدائية جامحة ضد الازد والقبائل الاخرى في خراسان ، وكان عددها انذاك اربعين الفا منهو بنو تميم في عشرة الاف ، والازد في عشرة الاف ، وعبد القيس في اربعةالاف ، فهولاء كلهم وقفوا ضده واخذوا يدبرون لخلعه[٥٩] .

ووجد الازد ان الوقت مناسب للتخلص من قتيبة ، لانه كان شديد الوطأة عليهم ، فاتفقوا مع حلفائهم من ربيعة على خلعة ، ثم فاوضواتميما لانها كانت حاقدة عليه هي الاخرى ، وانتهى الامر اخيرا بمقتل قتيبة في سنة ٩٦هـ [٦٠]، واختفى بذلك قائد كبير من قادة العرب الافذاذ .

عادت ممنزلة الازد تزداد علوا اثناء ولاية يزيد بن المهلب الثانية على خراسان حيث اعاده اليها الخليفة سليمان بن عبد الملك فتولاها ولايته الثانية مابين (٩٧-٩٩هـ).استهل يزيد ولايته هذه بتأكيد اعتضاده بقبيلته الازد ، فخاطبهم مذكرا اياهم بفضل اسرته عليهم منذ ايام عميدها المهلب ، فقال لهم : ((يامعشر الازد ، كنتم اذل خمس بخراسان حتى كان الرجل من الحي الاخر ليشترى فيتسخركم فتحملونه له ، حتى قدم المهلب وقدمت ، فلم ندع موضعا يستخرج منه درهم الا استعملناكم عليه وحملناكم على رقاب الناس حتى صرتم وجوها))[٦١] واكثر من هذا فانه عول عليهم في فتوحاته ومن بينها فتح جرجان وطبرستان .

ازد عمان وثورة يزيد بن المهلب :

في سنة ٩٩هـ توفي سليمان بن عبد الملك ، وتسنم الخلافة عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ) الذي اشتهر بعدله ونزاهته ومحاسبته لولاته وعماله ، فدعا اليه يزيد بن المهلب وحاسبه على اموال عاد عليه بها فتح جرجان وطبرستان ، ولما لم يقتنع بتبريراته ، زجه في الحبس بحلب[٦٢] ، ولكن يزيدا افلت من حبسه في ايام مرض الخليفة الاخيرة ، فجاء البصرة واعتضد بقبيلته وحليفتها ربيعة ، وتفاقم خلافه مع الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) حتى ال الامر الى ثورة قادها ضد الخلافة وذلك في شهر رمضان سنة ١٠١هـ [٦٣] وتمكن من الاستيلاء على البصرة واستنهض همم العراقيين للتخلص من بني امية.

لم يستكن يزيد بن عبد الملك ازاء تلك الثورة، بل بادر الى تعبئة جيش كبير اسند قيادته الى اخيه مسلمة بن عبد الملك وسيره الى العراق .

تأهب ابن المهلب لمجابهة جيش الشام القادم ، وكان عماد جيشه رجال قبيلته الازد في البصرة وحلفاؤها من بكر وربيعة ونفر من المضرية واثناء ذلك امده اخوه زياد بن المهلب بثلاثة الاف رجل من ازد عمان [٦٤].. ولانريد التفصيل بمجريات احداث تلك الثورة ، بل ان الذي نريد قوله : ان الازد في خراسان لم يقدروا على مساندته رغم تأييدهم له بدليل قولهم لمدرك بن المهلب ((انك احب الينا واعز علينا ، وقد خرج اخوك فان يظهره الله عز وجل فان ذلك لنا ونحن اسرع الناس اليكم ...)) اما ازد الشام فقد سكتوا عن مساندة يزيد بن المهلب ، مما اتاح للأمويين التغلب عليه في وقعة العقر[٦٦] سنة ١٠٢هـ . حيث خسر حياته فيها ونكبت اسرته نكبة شديدة بفقدانها اشهر رجالها في تلك الوقعة .

والواقع ان العباسيين افادوا من تلك الثورة التي امـــدت البيـــت العباســـي بعصبية يمانية موجهة ضد الامويين ، فلا غرو اذا مارأينا بعض المحدثين يـــؤرخ لبداية الدعوة العباسية بهذه الثورة [٦٧].

وكانت الازد خاصة واليمانية عامة ، قد حقدوا على الامويـــــن ، وعمـــد بعض رؤسائهم الى الاخذ بثأر ال الهلب ، ونذكر من هولاء جديع بن علي الازدي (الكرماني) الذي دخل في صراع طويل مع نصر بن سيار - اخر ولاة الامويـــن في خراسان . وكان جديع يقول :((كانت غايتي في طاعة بني مروان[٦٨]،ان يقلـــد ولـــــدى الســـــيوف فـــــأطلب بثـــــأر بنـــــي المـــــهلب))[٦٩].

خلاصة البحث

سلط البحث اضواء على قبيلة ازد عمان اليمانية التي استقرت في عمان قبل الاسلام ، واشتهر رجالها بالملاحة والتجارة ، وعندما جاء الاسلام بادرت الى الدخول فيه على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ولكن بعض الازديين ارتدوا عن الاسلام في مستهل خلافة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) في حين الاخرون بقوا على ايمانهم ، وقارعوا المرتدين حتى اخمدوا انفاسهم .

بعد ذلك اسهم ازد عمان في احداث الدولة العربية الاسلامية في العصرين الراشدي والاموى ، فكانت لهم مواقفهم المشهورة في الفتوح الاسلامية وبخاصة في جبهة المشرق وبرز دورهم هنا بعد انتقال اكثرهم من عمان الى البصرة ... ومثل ذلك كان في احداث المصرين المذكورين ايضا ومنها معركتي الجمل وصفين .

وتبين ان اهم عبء تحملته ازد عمان في العصر الاموي هو محاربة الخوارج الازارقة بقيادة المهلب بن ابي صفرة ، الذي كان منهم ، ومن ثم التفوا حول المهالبة الذين تولوا مهام ادارية وعسكرية وساندوهم اثناء خلافهم مع الامويين ، ذلك الخلاف الذي تطور الى ثورة قادها يزيد بن المهلب ضد الخلافة الاموية ايام يزيد بن عبد الملك.وكان اخفاق تلك الثورة قد تسبب في اهمال الخلافة لليمانية – بوجه عام – مما دفعهم لانضمام رجالات كبار منهم الى الثورة العباسية ، حيث افاد العباسيون منهم في تقويض اركان الخلافة الاموية في سنة ١٣٢هـ .

الهوامش

(١) الاصطخري ، المسالك والممالك : ٢٨

(٢) المسعودي ، مروج الذهب : ١٤٠/١

(٣) الحميري ، الروض المعطار : ٢٣٨

(٤) الدكتور فيصل السامر ، الاصول التاريخية للحضارة العربية والاسلامية في الشرق الاقصى : ١٠ .

(٥) الدكتور سامي سعيد الاحمد ، الخليج العربي في التاريخ القديم : ٣٥

(٦) ابن الاثير – الكامل في التاريخ : ٤٣٨/١

(٧) ابن قتيبة ، المعارف : ١٩٩ ، المبرد ، نسب عدنان وقحطان : ٢٢،ابن الاثير اللباب في تهذيب الانساب:٦/١ ٤،الذهبي،تاريخ الاسلام ٢٠٧/٣

(٨) الدكتور نافع توفيق العبود ، ال المهلب بن ابي صفرة : ٢٩

(٩) ابن هشام ، السيرة النبوية : ١٣/١ .

(١٠) ابن الاثير ، الكامل : ٣٢/٢.

(١١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٢٥٤/٤

(١٢) خليفة بن خياط – تاريخ خليفة : ٦٨/١ ، الطبري – تاريخ الرسل والملوك : ١٩٩/٣ .

(١٣) ابن الاثير ، الكامل : ٣٧٢/٢

(١٤) المصدر نفسه : ٣٧٢/٢

(١٥) المصدر نفسه : ٣٧٣/٢

(١٦) رجام : جبل طويل احمر في طريق عمان - ياقوت معجم البلدان(٢٧/٣)

(١٧) ابن الاثير ، الكامل : ٣٧٣/٢

(١٨) المصدر نفسه : ٣٧٣/٢

(١٩) المصدر نفسه : ٣٧٣/٢

(٢٠) ياقوت ، معجم البلدان : ٤٣٦/٢ .

(٢١) المصدر نفسه : ٤٣٦/٢ .

(٢٢) الطبري ، تاريخ : ٣١٥/٣

(٢٣) ياقوت ، معجم البلدان : ٤٣٦/٢

(٢٤) المصدر نفسه : ٤٣٦/٢ .

(٢٥) الطبري ، تاريخ : ٤١٩/٣

(٢٦) ياقوت ، معجم البلدان : ٤٣٦/٢

(٢٧) الطبري ، تاريخ : ٣١٦/٣

(٢٨) المصدر نفسه : ٣١٦/٣-٣١٧

(٢٩) البلاذري ، فتوح البلدان : ٣٧٨

(٣٠) ابن سعد ، الطبقات الكبير : ٧/ القسم ١ : ٧٢

(٣١) البلاذري ، فتوح البلدان : ٣٤٥ : ٣٤٥ . ياقوت معجم البلدان ٤٣١/١

(٣٢) الطبري ، تاريخ : ٥١٦/٥ .

(٣٣) الشيخ المفيد ، الجمل والنصرة في حرب البصرة : ١٥٧

(٣٤) ابن سيار المنقري ، وقعة صفين: ١١٧

(٣٥) الاصابة في تمييز الصحابة : ٣٨٨/٦

(٣٦) الطبري ، تاريخ : ٢٦/٥-٢٧

(٣٧) المصدر نفسه :٢٧/٥

(٣٨) المنقري ، واقعة صفين : ١٧٧

(٣٩) الدكتور احسان النص ، العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي :٢٢٨-٢٢٩

(٤٠) البلاذري ، فتوح البندان : ٤٠١

(٤١) الطبري ، تاريخ : ٢٢٦/٥

(٤٢) الاسفرابيني ، التبصر في الدين ن: ٣٢ ، الشهرساني ، الملـــل والنحـــل :١٤٤/١